

أموت كما شئت.. لكن شهيدا

معهد يوثران



أبواب  
الجنة

حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للناشر ©  
anhaar.com  
الحقوق الفكرية محفوظة للكاتب ©  
نشر بتاريخ 2016/1/1  
مجلة أنهار الأدبية

أموت كما شئت.. لكن شهيدا

شعر

محمد يوثران

## أمّي

يُروى أن امرأة كانت كلّ نساء العالم، أمي..  
كبر الحلم الأجل  
وتفتح ورد في الشرفات  
كأن يدا.. كانت مذ أول نيسان  
تسكب فوق العشب الأخضر  
ضوءا ذا ألق..  
وتهدد برعم توت أو كرز  
بين ذراعيها..  
كبر الإيمان.  
لم يقنع بالقبلات البرعم،  
وانتفض البستان  
أمي.. لم تترك للعصفور  
سوى عش فوق الغصن المورق  
كي يحلم  
لم تترك للقمر الليلي سوى  
شرفات عارية  
لم تُفطم.

**أموت كما شئت.. لكن شهيدا**  
- إلى روح ياسر عرفات الطاهرة في عليائها.

أموت كما شئت.. لكن شهيدا  
لأن بلادا تنام على حافة الموت،  
تأخذ شكل الرصاصة في القلب كي لا تموت  
و يسألني الصاعدون إلى الله:  
ياسر أينتك بين الرصاصة و البندقية؟  
فأفتح جرحي بوجه سلاح المشاة  
و أقصف بالأغنيات عدوي..و بالقهقهات

أموت كما شئت.. لكن شهيدا  
و أبدأ عمري من الموت، عمرا جديدا  
لأن طيور الخليل تغني بصوتي  
و في غزة الجرح.. ألف حصار يقاوم موتي  
لتخرج من قدسنا في المساء  
لندخل حلما بغير صراخك فينا،  
و تخرج وحدك منه بنهر بكاء

تمهّل، رويدك.. إن القصيدة حبلى بمليون حرفٍ شهيدٌ  
و قافية من رخام، تقاوم هذا الحصار العنيدُ  
تمهّل.. فليس أمامك إلا الخرابُ  
و ليس وراءك إلا الورا..  
لتختار ماذا تريد!

أنا؟!..

رقم زنانتى خمس عشرة ألف، و ياجورتانِ حطامُ  
و عنوان أمي، لترسل بعض الطحين، و بعضا من البنّ.. برقية  
للعزاء  
طفولة جرح يمين النحيب، شمال البكاء..  
على بعد قبرين منك، و شاهدة من رخام  
و جرحي يمتد من يافا لحيفا،  
و حزني بغير حدود  
فكيف يموت الفراش.. و منذ الصباح تحاصره بالندى و الورود؟!!

## و عادوا إلى القدس بعد غياب..

قرأت قديما نبوءة شعر ..  
تقول النبوءة أن بلادا  
بمنفى بعيد  
تعود إلى الله بعد غياب .

و أن "حصانا" له "أثر كالفراشة"  
صار نبيا،  
و يرهن كل إله رعيته في المزاد.  
ليعلن بعد شهر :  
'بلاد بلا شعبها قطعة من خراب.'

و إن المساجد كانت، و تبقى..  
شهودا على موتنا مرتين  
و ميلادنا مرة واحدة.  
فهل بعد عشق الإله  
و قدّ قميص العزيز،  
تريدين سَجنِي مع الهاربين من الله  
يا حاقده؟  
و هل كلما نسوة في المدينة قلنَ بأنكِ راودتني  
ازددت حقدا و مكرا..  
و قلتِ اصلبوهُ  
فليس كيوسف طهرا..

## لجوع..

ربما.. مرةً كل عامٍ  
يقرؤون علينا خطاب الخليفة، دون سلامٍ.  
يوم قلتُ أحبُّ بلادي..  
عانقتني كرمة أو سنبله  
كنت أول طفل شهيد يريد احتضان القبلة.  
و لهذا قبيل اغتياي  
دندنوا..  
مات سرب حمامٍ  
و استرحنا من صداع الأسئلة.



## من نشيد الضعفاء..

طَيِّبُونَ،  
قَانِعُونَ،  
لَيْسَ فِينَا مَنْ يَقَاوِمُ  
أَدْخَلُوا مَنْ حَيْثُ شِئْتُمْ  
لَنْ نَقَاوِمُ.  
أَقْلَعُوا زَيْتُونَنَا،  
دَمَّرُوا أَكْوَاخَنَا..  
نَحْنُ قَوْمٌ طَيِّبُونَ.  
اسْلُبُوا أَمْوَالَنَا،  
ثُمَّ قُولُوا إِنَّهَا كَانَتْ زَكَاةً..  
اصْلُبُونَا فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ  
إِنَّا لَنْ نَقَاوِمُ،  
لَيْسَ فِينَا وَاحِدٌ يَهْوَى الْحَيَاةَ.  
إِنَّا شَعْبٌ مَسَالِمٌ،  
لَا نَجِيدُ الْحَرْبَ،  
إِنَّ الْحَرْبَ كَفْرٌ، وَانْتِحَارٌ..  
إِنَّا شَعْبٌ ضَعِيفٌ، فَارْحَمُونَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.  
طَيِّبُونَ،  
قَانِعُونَ..  
هَكَذَا نَحْنُ وُلْدَنَا، وَنَمُوتُ.  
سَنَسَاوِمُ  
بِرَغِيفٍ، بِشَرَابٍ..  
هَلْ سَمِعْتُمْ وَاحِدًا مِّنَّا يَقُولُ: لَنْ نَسَاوِمُ؟!  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
هَذِهِ بِنْتُ تَقِيَّةَ  
فَخَذُوهَا، إِنَّهَا نَعَمَ الْهَدِيَّةُ..

كيف ننسى عيد ميلاد الخليفة؟  
كيف تنسى هذه النفس الضعيفة؟  
كلُّ يوم، أنتَ عيدُ  
عيدُ ميلادِ سعيدٍ..  
يا أميرَ المؤمنينِ.  
أبدا لا، لن نقاومُ  
إننا شعبٌ مسالمٌ  
فامنعوا عنا الرغيفَ..  
لم تمت فينا الكرامةُ  
ثورةٌ كبرى تُحاكُ  
ببطون جائعاتٍ  
تطلبُ الخبز، وحبلا للنجاة..  
قد نساومُ،  
لو ملكنا الكهرباءَ..  
قد نساومُ،  
لو وعدتُم بالنساء،  
و بحُور راقصاتٍ..  
إننا نغتالُ فينا كلَّ يوم ألفَ ثورة،  
فامطرونا بالرغيفِ  
كي نغني كلَّ يوم ألفَ مرّة..  
بنشيدِ الضعفاءِ.

## عودة السندباد في الليلة الثانية بعد الألف..

و أبحث في سماء الشعر  
عن سحب تبلل معطف الكلمات،  
أدخلُ في تفاصيل القصيدةِ  
أولَ النسيانِ  
أكتبُ أن لي ماضٍ..  
يحاصرني الحنينُ إلى صباي،  
الموتُ أصبحَ كالحياةِ،  
و صاحَ بي الموتى  
لأخرجَ من تفاصيل الحكاية..  
كنتُ أرفض أن أغادر مقعدي  
لكنتي غادرته  
و دخلتُ بحر الحب دون حبيبة..  
كجميع من دخلوا إليه، و لم يعودوا..  
شهرزادُ تقولُ لي: لا موتَ بعد الآن،  
فاحرق وصيتك اللعينة شهریارُ  
و عدْ إلي..

عُدّ للسريِرِ فحاطفوا الأطفالِ قد رحلوا  
و عاد السندباد إلى البلاد مضرجا بالدمعِ،  
عاد كأنّ شيئاً لم يكنْ  
من رحلة الإنسانِ.  
كانت هناك على رمال الشاطئِ  
المنقوش فوق يدي،  
تنام سطور ذاكرتي  
كبنّتِ حالمةً..  
و البحر يدنو من سواعدها  
يمشط شعرها،  
تغرورق العينانُ..

## النورس و المغني..

خارجُ من زرقة البحر يغني للمساء،  
طائرٌ دون جناحٍ  
ريشة تلهو بها كفّ الرياح..  
موجةٌ تولدُ في صمتِ المحيط،  
لتموتُ.  
ليس إلا طائرا دون جناحٍ..  
لم يعدُ يحلم أن يصبح نورسُ  
أن يلاقي السندبادُ.  
كان يوما مثل كل الحالمينُ  
يتمنى أن يكونُ  
نورسا فوق سفينه.  
كلّما نامَ المغني  
يولدُ النورسُ فيه  
ليغني للمساء،  
للألوفِ الساهرينُ.  
عند كلّ الشرفاتِ  
قمرٌ يرقصُ حزنا،  
و حبيبٌ يلتقيه.

يصبح الصوتُ سلاحاً،  
فهنالك ..  
قتلَ النايُ إلهَ الساهرينُ  
حينَ ناموا .  
قاتلَ الله المغني  
كيفَ لم يرحمَ إلهها .. وقمرًا!  
خبأَ القيتارَ تحتَ البندقيةِ  
جعلَ النايَ أوانَ خزفيه .  
منَ قوانينِ البلادِ  
منعَ حملَ الأسلحةِ ..  
و لهذا خبأَ القيتارَ و الأنغامَ بينَ الأمتعةِ

## رسالة من قاتل مجهول.

و أرسلوا إليّ قُبلتين بالبريد،  
و كرمتين من عنب.  
قال مسافرٌ إلى المدينة المكرّمه  
بأنني الحبيبُ صاحبُ الشرف،  
و أنّ لي حظّ الحسينِ..  
أموتُ مرّتين،  
تقرع الأجراسُ في جنازتي  
و تندبُ النساءُ،  
و الرجالُ،  
و الغلمانُ..  
و المآذنُ المحطّمة.  
تركتُ ساعي البريدِ عند البابِ ينتظرُ  
تمرّ ساعةٌ و لا يزالُ ينتظرُ..  
و بعدَ ساعتينِ،  
يقولُ لي: متى ستفتح الرسالة؟  
لتقرأ العنوانَ،  
و التاريخَ،  
و الإمضاءَ..  
لتفتحَ الزجاجةَ التي طلبتَ من مديرد  
و كرمتين من عنب.  
أدعوه للدخولِ،  
كي يشاهد الأخبارَ،  
كي يقرأ في جرائد الصباح  
عن مزارع له دجاجتين..  
و يحتسي برّفتي كأسِي نبيذ.

و عندما أردتُ شكرهُ على الضيافة  
و قهوةٍ أعددتها كما أحب،  
شعرتُ بالإحراج،  
فالأخبارُ لم تُكنْ كما أحب،  
كذلك النبيذُ، و الجريدة التي تمارسُ النفاق لا الصحافه..  
و دعتُهُ، و في يدي الرسالة  
و قطة تموء عند الباب.  
وددتُ لو يعودُ من جديد،  
لكنه.. كما سمعته يقولُ للبواب،  
مهاجر لكربلاد.  
حيثُ يقيمُ شهريارُ عرسهُ الأخير  
و حيثُ تشتري النساءُ بالمجان..  
مهاجرٌ إلى مدائن البكاء و النحيب  
حاملًا نبوءة الكهان،  
تلك النبوءة التي تحدّثتُ بها عرّافة الأمير.  
عن طفلةٍ شقراء،  
عن كنيسةٍ حجّت إليها الأنبياء..  
قرأتُ - من مدريدٍ للغريب في بلاده-  
و ليس بعد.  
رسالةٌ مجهولة العنوان،  
من قاتلٍ مجهول..  
و تحتها زجاجتا نبيذ  
و كرمتان من عنب..  
و طابعُ الجباية  
مسالمٌ، كما الأطفالُ حين يُسألون عن نهاية الحكاية..  
و عن مصير شهرزاد بعد ألف ليلةٍ و ليلة،  
و كيف عادَ سندبادُ عن عناده.



يا قاتلي، لديّ طفلتان في وهران  
و صاحبُ أتى من العراق،  
فارحمهما، و صاحبي..  
و قلّ لأُمِّي في المعابرِ المحاصره  
سيُبعثُ المسيح من جديد،  
فانتظريه عند حائطِ البُراقِ..  
فحينما أعود للتراب،  
قدّ أصيرُ نجمةً تطلّ بالمساءِ بين كوكبين،  
و قد أصيرُ برتقالةً تظلّ تحت غصنها فراشتين،  
فلتعتني إذن بكرمة العنب  
و إن شعرتِ بالتعب  
فقاومي التعب..

## برقية عاجلة.. للعيون العسلية.

لا تغمضي أو تصرفي عينيك  
عني حين يسحبني الحنين إليهما  
و إذا أتتك رسائلي.. فلأنني  
كلّفت حبري بالصلاة عليهما  
و متى سمعت أنينها لا تفزعي  
ورق يمزقه اشتياق كليهما

أيام أذكر كم عبدتهما، وكم  
صليتُ ساعاتٍ على حجرَيْهما  
وتروعي الذكرى.. فتلك مصيبتني  
أني شربت السمَّ من كأسيهما  
لم أنتِ، يا من تسكبين تبالغينَ  
وتعلمين بأن موتي فيهما؟..  
عام.. وبعضُ العام أكفر بالعبير  
يقول لي: ربّين في عرشيهما..

ما كان ذنب قصائدي إن كان  
فارسك القديم يعبّ من عبقيهما  
ويعود كاللص الجبان ليرتمي  
بسريره الممدود في حجرَيْهما  
و يراهما.. في الضوء حين يراهما  
حجرين.. ضاع اللون في ليليهما

أم كنتِ حين عشقتِ لص جواهر  
يغتال في صمت شذا عطريهما

تتوقعين بأن يغير رأيه  
من أجل أنك بعته شفقيهما؟..  
وجلست في ركن هنالك ترقبين  
قدومه.. لينام في صدفيهما.

يا حسرتاه على الشفاه.. و رعشة  
تنتابها.. لتتوب عن خطأيهما.  
لو كنت أملك إذ خسرتك صورة  
أو قبلة.. لعبدت صمت كليهما  
و لنمت كالمجنون أمسك في يدي  
قمرين يغتربان في وطنيهما.

لكنني.. يا حسرتاه على يدي  
تعودا كفيك في كفيهما  
و تعوداك فراشة تأتي إلى  
وطنين يختبئان من قدريهما  
ويخبئان اللوز في الصدف الذي  
يلقيه موج البحر في شطيتهما..  
لا تغمضي أو تصرفي عينيك  
عني.. إن ذاكرتي تحن إليهما

## خدمات مجلة أنهار الأدبية

تدقيق دواوين الشعر الشعبي

تدقيق دواوين الشعر الفصيح

تدقيق ومراجعة الإصدارات الأدبية

دروس الوزن والقافية صوتياً عبر الهاتف

خدمة الاستشارات الشعرية والمساعدة على الواتس أب

مساحة إعلانية لإصدارك الأدبي

نشر ديوان أو كتاب إلكتروني في أنهار

[للتفاصيل اضغط هنا](#)

أنهآر للنشر الإلكتروني  
لا تتحمل أي مسؤولية أدبية أو فكرية أو قانونية  
عن محتوى الكتب المنشورة  
و المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها فقط  
كما نحذر من إعادة نشر هذا الكتاب إلكترونيا أو بأي وسيلة أخرى  
من دون الحصول على كتاب موافقة موقع  
من المدير العام للناشر الإلكتروني د.شوق العبدالله أو من ينوب عنها

الناشر الإلكتروني ©  
anhaar.com

نشرت هذه المادة إلكترونيا وفقا لشروط مسابقة الناشر للشعر العربي 2015

